صلاح جلال يسوّر النور

بالشعر والفلسفة والفكر

قراءة في ديوان " سور النور " للشاعر صلاح جلال

عبد السادة جبار / قاص وكاتب مسرحي

خارج المتن في الواقع لم اكن شاعرا ولا ناقدا للشعر ، رغم انـي حاولـت لكـني لم اوفـق فيـه لان الشـعر مـن اصعب الفنون ، إلا أنني لا يمكن ان اغادره فالشعر والشاعرية تلاحقني بكل مكان ، وفي كل منجـز ادبـي ، بدءا من اهتمامي بالمسرح الى السرد وحتى السينما ،وفي بعض الاحيـان ادون (مونولوجـات مسـرحية) لا تخلو من شاعرية ، ومن الطبيعي ان يتولد لدي راي في اي نص شعري سواء كان لكبار الشعراء او لمن كتب نصوصا تستحق الاهتمام ، وفي الواقع تمر علي قصائد وداووين متنوعة بين الشعر العمودي وقصائد التفعيلة ، ونصوص معاصرة يطلق عليها قصائد النثر ، واجد في كل هذه الانواع بعضا من النصوص تجذبني اليها وتحرك بي ذلك التفاعل والتفكير ، ولا افضل لونا على لون ، النص الجيد يفرض نفسه من اي نوع ، ومهما كان شكل البناء .

ديوان سور النور : ديوان (سور النور) للشاعر والروائي الكوردي صلاح جلال ترك اثرا مميزا على ذائقتي ، اذ لا يمكن المرور على اي نص من تلك النصوص دون ان تتوقف كثيرا قبـل العبـور الى نـص آخـر ، بـل احيانا تحتاج زمنا ومكانا ملائمين لتقرأ بهدوء وتتأمل هذا الجمال الشاعري المحمل بمعان ملحمية وفلسفية وانسانية عميقة .ليس من السهولة ان يكتب كاتب ما بلغة اخرى غير لغته ، فكيف الحال اذا كـان مايكتبـه شعرا ؟ وهذا جانب ايجابي مهم للشاعر صلاح جـلال ، وقـد كتـب نصوصـه الشـعرية بالعربيـة وهـو اديـب كوردي، وبذلك فهو يضيف للعربية منجزا ادبيا مميزا من خلال اسهاماته في هذا المجال .

انا هنا سامر على هذا الديوان انطلاقا من تجربتي في القراءة والتي استغرقت اكثر من نصف قرن وطبعا ما اكتبه هو راي انطباعي وليس نقدي ، وما اكتبه لا يكفي للاحاطة بما ورد به اذ ان ديوان شعر كهذا يحتـاج

الى قدرة نقدية تحليلية من ذوي الاختصاص . * التميز في الواقع حين تقرا نصوص هذا الديوان يلفت انتباهك الى عناصر مميزة اتسم بها الديوان والشاعر.

١. الأنا الجمعية: تخلص الشاعر تماما من الذاتية وهيمنة (الأنا) اذ لاتجد في تلك النصوص بوحا يعبر به الشاعر عن ذاته ، حياته ، احاسيسه العاطفية، شجونه الشخصية ، احلامه ، انتكاساته ، تجد الأنا وال(نحن) وال(انتم) وال(هم) واحدة . وبالرغم من انه يستخدم عبارة ال (انا) في " اعصار فلسفة الموت " ص ١٣

(أنا افكر اذن أنا موجود

اذن افكر بفكر غير موجود

افكر في تناهيات الوجود والموت

أيهما ذو الاسبقية ؟) ثم في ص ١٦

يطرح تساؤلا :

(كيف احفر في اللاوعي الجمعي

لأجد باقة من اوراق الزمن

واحدد زمن فلسفة الموت ؟)

هنا يوقد الشاعر جمرات الفكر باحساس جمعي وليس فردي ومنها فلسفة الموت .ليجعل من تلك الاشكالية هما يحتاج لرؤيا واضحة مادام الوجود يشترط التفكير ، صلاح جلال هنا لا يعبر عن الانا الذاتىة المجردة كما تعودنا من الشعر بل عبر الكونىة والوجودىة السائدة وىحول دلالاته لمخاطبة الاخرىن وهى علاقة بىن الانا وانت والاخرين.

٢ .الشخصيات التاريخية والرموز .

تنطوي نصوص الديوان على شخصيات تاريخية ودينية لها دور كبير في حركة الوعي الكونية وظفها الشاعر في استلهام فلسفي وفكري بصياغة شعرية مميزة متجاوزا الانتماء الديماغوجي او الأيدلوجي او العرقي او الطائفي بكل انواعه فلاتجد الشاعر يدافع او يهاجم على ضوء فكرة قد تعصب لها او فرضها في نصوصه ومما يؤكد هذا كلام د.احمد عز الدين بقوله " ..انه يتعامل مع الروح السامية للامام الشهيد الخالد الحسين (ع) في تجلياته القدسية كاننا من طراز آخر يجعل من استشهاده أرثا شعريا متدفقا بالخلود ليس بالذكر فقط " مضيفا " يقول الشاعر : ان الحسين موحد الشيعة والسنة ، لا يقول ذلك اعتباطا ، انما ينطلق من الموقف الدرامي للامام وهو الموقف القادر على كشف باطن الحركة والقادر على رصد الصراع وصياغته على المستوى الفني"مجلة الاقلام، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، سيادة الموقف الدرامي داخل القصيدة العربية، احمد عز الدين، العدد (٤٠)

التجسيد لما سبق يؤكده هذا المقطع من النص الذي يحمل عنوان الديوان (سور النور) .

عندما ينظر إلى الأشعة المنبعثة من رأس الحسين

دجلة والفرات يلوحان بإعتصام الدم المحتضر

ويؤجج على الوجود عطش الحسين

وتتسلق الحشرات الزجاجية سيف المهدي

وتنتشر عروش الأجيال في كهوف الفوتونية

تتوضأ أنوار الزهراء في جدران الكلام

يلمع الفضاء في الأنوار الخمسة

إلا إن صلاح جلال يمر على شخصيات تاريخية واسطورية ورموز كثيرة كانه يجمع الصراع الكوني من خلال انبثاق تلك الشخصيات التي شكلت هذا الوجود الانساني للحياة

(النبي موسى ، مريم العذراء ، اسخيلوس ، مارتن هيدجر ،نبي ابراهيم ، ستالين ، فرعون ، هتلر ،هوسرل ، النقشبندية ، الفاروق ، هوميروس ....)

في الواقع كنت اتمنى ان يثبت في فهرس الكتاب اسماء تلك الشخصيات لان لاحصر لها ، كان الشاعر يوحد الكون من خلال نضال وكفاح تلك الشخصيات الدينية والفلسفية والفكرية والشعبية والاسطورية كنتاج لذلك الصراع الازلي من خلال تلك النصوص الشعرية الرائعة.

٣. التوافق بين الشعري والسردي وبما ان الشاعر صلاح جلال له تجربة في مجال السرد فلا يخلو شعره من الجانب الدراماتيكي المتوهج بالشاعرية والجمال ، ويغلب عليه طابع الاختزال العميق فكل نص شعري هو نص سردي ايضا ..وصف دقيق وعميق وانفعالات داخل صراع وشخصيات تتفاعل وتنمو داخل النص الشعري دون اسراف او حشو او اسفاف ، ولكن لا ترى اثرا لبداية سردية بسيطة اذ تنبثق الفكرة من حدث سردي تاريخي او اسطوري او فلسفي لينمو النص بايقاع متصاعد ليصل الى نهاية مفتوحة .. من نص جليد الكلمات ص ٦٢

نقرأ مابعد اللحد ظهرت ماهية الموت

تلتمع بكفن ياقوتي مصفر

شرايين الحلم تتجزر في مشاهد الفكر

تنفرش عاصفة الافلام

الآن تشاهد قصة يوسف في الغيوم

تأذن لملامح الطيور.

اما في نص (كون الروح) نقرا في صفحة ١٢٠

اغنية من الروح تحت الشمس

تنادي لشق السماء

السماء تحفر الارض

والارض تحرث الكون

والكون يخنق الوجود

لانرى ابطالا في هذا النص، لكن نرى احداثا كونية تؤكد على الصراع، والامثلة كثيرة في الديوان لامجال لذكرى كلها. ٤ .الرمزية والعمق والتأويل ليس من الانصاف ان اقول اني تمكنت من قراءة كل نصوص الديوان لاني توقفت عند بعضها وشعرت بانها تحتاج الى قراءات متكررة للوصول الى تأويل يناسب الرموز الواردة فيها ، ولهذا فاني اعتقد بان الكثير من هذه النصوص تعتبر نخبوية وتحتاج الى اعادة قراءة ، ويبدو لي ان الاختزال في المعاني والاحداث والافكار والتي عوض عن بعضها باشارات جعل من تلك النصوص ليس سهلة الفهم مثل نصوص شعرية تعودنا على فهمها من اول قراءة ، فانا ارى ايقاع وموسيقية الجمل قد تجذب القارئ للوهلة الاولى ثم يقرا مرة اخرى ليعرف الرموز والشخوص التي ترد في تلك النصوص ثم البحث عن معنى الصراع للوصول الى تاويل معنى النص ، ولكن ذلك لا يغيب المتعة في القراءة وكانه يذكرني برواية عبد الرحمن منيف " حين تركنا الجسر " مع الفارق في التجنيس ، فانت تستمتع بتلك الجمل والحوارات وموسيقاها وايقاعها ، الا انك تحتاج الى وقت اخر لتفسر تلك الاشارات ومعنى الرموز التي وردت في الرواية لتصل الى خلاصة المعنى والمستويات الثقافية على اختلافها تتشوق الى عمل ادبي يشغلها في التأويل والبحث العميق عن جمال تلك النصوص عبر التامل والاستمتاع بمنجز يرتقي لمستوى فكري متقدم . واخيرا اقدم شهادة للاستاذ "شاكر مجيد سيفو" وهو يقيم تجربة الشاعر " صلاح جلال " خلال قراءته لمجموعته السابقة " سقوط الكون " " إنّ نصّ الشاعر يمثل جسد الفكرة الذي يعي ويفكر وبحدس ويحلم باستمرار، حتى تكرار المعاني من أفعال الكينونة والاسترسال أو التحرر من الماضي الفلسفي، للانوجاد في الحاضر بكل قيمة الجمالية والانطولوجية، واتساع دائرة الفاعل، لتشمل أعمق الدوال في النفس والجسد وأبعد الرموز في التمثيل الكوني.إنوجاد الأنا والتمثّل الكوني في(مجموعة سقوط .

منشورة في جريدة المشرق العدد ٥٥٨٣ في ٢٠٢٤/٥/١٢